

المصر الحاضر واحد من عوالمه ، إن نفذ قلبك إلى بواطنه ، إن  
المؤمن من آيات الله الوهاب ، يلبس العوالم لبس الثياب . كلما  
قدم عليه عالم منحه القرآن عالماً آخر . . . الخ .

وهذا حديث من الكتاب نفسه بين نادر شاه ملك إيران  
وزنده رود ( محمد اقبال ) حينما التقيا في الجنة :  
نادر :

مرحباً بالشاعر المشرق ، الذي يجرد به اللسان الفارسي ،  
إني محرم للأسرار فأفنى أسرارك ، ماذا عندك عن إيران  
الوطن المبارك ؟  
زنده رود :

فتح عينه على نفسه حيناً ، ثم وقع في الشرك سريعاً . هو  
صريح دلال أوروبا القاتنة هام بها فانبعا ، وفن بزيتها فقلدها ،  
عنه اليوم الملك والنسب ، وذكر ساپور وتحقير العرب ، أوقاته  
من الواردات خالية ، يطلب الحياة من القبور البالية . نحدث  
بالوطن وذهل عن نفسه ، وترك حيدراً<sup>(١)</sup> وهام برستمه ! الخ  
ويقول على لسان أبدالي<sup>(٢)</sup> ملك الأفغان في القرن الثاني عشر  
حينما لقيه في الجنة  
أبدالي :

ذهل الشرق عن نفسه بما قلد الغرب واتبعه ، ولا بد للشرق  
أن ينقد الغرب فيفهمه ، ليست قوة الغرب من العود والرباب ،  
ولا من رقص الفتيات بغير حجاب ، ولا من سحر ورديات  
الحدود ، ولا من الساق العارية والشعر المجدود . وليست هيئة  
الغرب من نبد الدين ، ولا بهاؤه من حروف اللاتين . ما قوة  
الأفرنج إلا العلوم والفنون ، وما ضوء مصباحهم إلا من هذه النار  
ما الحكمة سورة من الزى واللباس ، وما تمنع العلم والفضل  
عمامة على الراس ؛ إن للعلم والفن أيها الشاب النافر ، سرّاً وراء  
هذه الظواهر ؛ وإنما يفتنى في هذه السبيل العين النظارة ، لاهذه  
المهارة<sup>(٣)</sup> أو تلك المهارة ؛ حسبك الفكر النفاذ ، وناهيك بالطبع  
الدراك . إن ملك المعنى لم يحجّره أحد ، ولا يناله إلا الجهاد  
والجلد ، لقد غفل التركي عن نفسه ، وسكر من الأفرنج رأسه ،

(١) علي بن أبي طالب (٢) أحمد خان أبدالي ملك الأفغان في  
القرن الثاني عشر الهجري (٣) المهارة فطاء الرأس

### ٣ - النهضة التركية الأخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

شذرات من كلام محمد اقبال

أفنى على ما كتبت في المقال السابق عن موقف المسلمين  
من تقليد أوروبا بشذرات من الفيلسوف الشاعر الهندي محمد  
اقبال تؤيد ما قلت . وهي شذرات من كتابه جاويدنامه ، وهو  
رحلة خيالية في الأفلاك والجنة تضمنت آراء اقبال في الاسلام  
والمسلمين ، وسأتكلم عنها في مقالات أخرى ، وإن تكن هذه  
الشذرات طويلة فالحق لا يضره الطول . قال على لسان سعيد باشا  
حليم حينما لقيه في فلك عطارده مخاطباً المسلم :

« قم فصور بنفسك عالماً آخر ، وامرّج المشق بالذكاء  
الباهر . إن شملة الأفرنج أصابها الماء فهي خامدة ، فالعيون  
فاظرة والقلوب هامة ؛ أصابت سيوفهم منهم المقاتل ، فسقطوا  
كصيدم في الجاهل . فلا تطلب الحرقه والنشوة من كروهم ،  
ولا ترجّ عصرأ جديداً في أفلاكهم . في نارك أنت حرقة الحياة  
ونورها ، وعليك أنت بمنها ونشورها

قال مصطفي<sup>(١)</sup> وهو يتفنى بالتجديد : « لا بد أن نحرّ كل  
قديم عتيق . » إن الكعبة لا تجدد فيها الحياة ، إذا جاءها من  
أوروبا اللات ومناة - وأأسفا ليس في رباب التركي نفمة جديدة ،  
جديده قديم أوروبا التالية . لم يكن غير هذا النفس في صدره ،  
ولم يكن سوى هذا العالم في ضميره . فلا جرم سكن إلى العالم  
الموجود ، وذاب كالشمع في حرقة العالم المشهود . وكم في طابع  
الكائنات من طريف وجديد ، ليس في تقويم الحياة هذا التقليد ،  
إن القلب الحى يخلق المصور ، وينقر من التقليد أي نفور  
إن يكن لك قلب المسلم الوهّان ، فانظر في ضميرك والقرآن ،  
كم عالم جديد في آياته ، وكم عصر مطوى في آفاته<sup>(٢)</sup> . وحسب

وقع تحريف في المقال السابق في كلمة « طوبنا مسافة القرون » فكبت :  
« طوبنا مسافة القرون » كذلك حرفت « أين ثم أين » إلى « آمين  
ثم آمين . »

(١) يعنى النازي مصطفي كمال باشا (٢) جمع آن

واللواء الشريف إلى الدائرة المحصورة . وقبل الدخول إلى الدائرة يتلى دعاء وتذبح الذبائح . وفي هذه المراسم تنظم الفرق العسكرية ، من الجامع إلى الدائرة المحصورة

٣ - لأجل تأكيد قدسية اليوم المذكور يبدأ اليوم بتلاوة الختمة الشريفة والبخارى في مركز الولاية بترتيب الوالي ، وتؤخر الأجزاء الأخيرة من الختمة الشريفة لتتلى أمام الدائرة يوم الجمعة بعد الصلاة

٤ - لأجل تأكيد قدسية اليوم المذكور يشرع منذ اليوم ( في كل الجهات ) في قراءة الختمة الشريفة والبخارى ، وتقرأ الصلوات الشريفة على المنارات يوم الجمعة قبل الأذان ؛ وحينما يذكر أثناء الخطبة الاسم المهابوت العظيم اسم حضرة صاحب الخلافة سلطاننا يدعى لصاحب الشوكة ولما لك الشاهانية ولرعاياه بالخلاص والسعادة . وبعد أداء الصلاة يكمل الختم وتلقى المواعظ في تبين خطر وقداسة الساعي المليية التي يراد بها خلاص مقام الخلافة العلي والسلطنة وأقسام الوطن كلها ، وفيما يجب على كل فرد من المؤازرة في تأدية الوظائف المليية التي يقوم بها المجلس الكبير المؤلف من نواب الأمة . ثم يدعى بالخلاص والسلامة والاستقلال لخليفتنا وسلطاننا ، وديننا ودولتنا ، ووطننا وملتنا ، وبعد إيفاء هذه المراسم الدينية ، والخروج من الجامع ، يجتمع الناس في مركز الحكومة في كل البلاد العثمانية ، للتهنئة بفتح المجلس . ويقرأ المولد الشريف في كل جهة قبل صلاة الجمعة بصورة مناسبة

٥ - تتخذ كل الوسائل لإذاعة هذا البيان ، ويبلغ سريعاً إلى أبعد القرى ، وأصغر الفرق العسكرية ، وكل مؤسسات الدولة ، ويعلق في لوحات مخصوصة ، ويطبوع ويوزع مجاناً حينما أمكن ذلك

٦ - نضرع إلى جناب الحق أن يهبنا التوفيق الكامل باسم الهيئة التيميلية

مصطفى كال

ذلك ما افتتح به الكماليون عملهم ؛ فلما أتيح لهم النصر شرع القادة منهم يتكفرون للإسلام . وكان أشدهم إفراطاً في ذلك الغازي مصطفى كال باشا الذي كان المسلمون جميعهم يمدونه بطل أبطالهم غير مدافع . ولست أدري أيعود الكماليون

فشرب من يدم السم حلوا المذاق ، وترك عامداً ترياق العراق ، ولست أدعوه إلا بالهداية والسداد . إن عبد الأفرنج قد أولع بالظهور ، فأخذ عنهم النناء والفجور ، يضئ روحه في الهو والفتون ، ويستصعب الجد فيركن إلى المجون . يؤثر السهل ايثاراً لراحته ، ويرى في السهل كفاء لفطرته . وإنما طلب السهل في هذه المحن ايدان بأن الروح قد فارق البدن «

ويقول في خاتمة كتابه خطاباً للجيل الجديد :

« آسيا موطن الشمس ومشرقها ترى غيرها وتحتجب عن نفسها ، قلبها محروم من الواردات الجديدة ، فهي اليوم لا تزن شعيرة ؛ وقتها في معترك هذه الدار جامد ساكن لا يلد التسيار . هي صيد الشيوخ وقنيس الملوك ، وغزال فكرها ظالم منهوك . العقل فيها والدين والعلم والشرف والعار من ربة السادة الأفرنج في إيسار . هجمت على عالم أفكارها ، ومزقت حجاب أسرارها ، وجملت قلبي في صدري دماً حتى صبغت عالمها لوناً آخر . . . . . شباب عطاش كؤوسهم فارغة ، ووجوههم نضرة ، ورؤوسهم مضبئة ، وأرواحهم مغلظة ، ضماف البصر قد حرموا اليقين والأمل ، لم تدرك أعينهم شيئاً في هذا العالم ، يكتفرون بأنفسهم ويؤمنون بغيرهم ؛ إن منكر الحق عند الشيوخ كافر ، ومنكر نفسه عندي أكفر »

\*\*\*

ثم أهود إلى الكلام فيما فعله الكماليون فيما يسمى « النهضة التركية الأخيرة » ، وأقدم قبل الكلام ترجمة البلاغ الذي أذيع على الناس قبل فتح المجلس الكبير بأنقرة ليتبين القارى أين ابتدأت هذه النهضة وأين انتهت :

نشرت الهيئة التيميلية التي مهدت لاجتماع مجلس الأمة الكبير بأنقرة هذا البيان قبل فتح المجلس :

١ - بحمى الكريم سيففتح مجلس الأمة الكبير في أنقرة يوم الجمعة الثالث والعشرين من نيسان بعد صلاة الجمعة

٢ - اختير يوم الجمعة لفتح مجلس الأمة الكبير الذي سيؤدى الوظائف الحيوية الخطيرة مثل انقاذ مقام السلطنة ، والخلافة ، واستقلال الوطن . ويستفاد من بركة هذا اليوم فتؤدى صلاة الجمعة في جامع الحاج بإرام ويحضرها المبعوثون كلهم ، للتيمن بأوار القرآن والصلاة . وبعد الصلاة يسار بالتحية المباركة

لا يفهمها وجب عليه أن يفهمها احتفاظاً بهذا الشعار، واستمساكاً  
بهذه الكلمات الجامعة بين المسلمين . فما بال السكاليين أصرّوا  
على التأذين بالتركية ؟ ذلك بأنهم لا يبالون بالرابطة الاسلامية ،  
وما أحسبهم إن استمرت لهم هذه السيرة إلا سيقفون الأذان  
كله فيستريح السادة المترفون من هذه الضوضاء . ذهبت مرة  
إلى جامعة أكسفورد فتعشيت في إحدى كلياتها مع الطلبة .  
فلما جلسنا على الموائد أقبل جماعة من الأساتذة إلى مائدة تسمى  
المائدة العالية ، فوقف الطلبة ، وتلا أحد الأساتذة دعاء باللاتينية .  
ولما انتهى الطعام وقف الطلبة خاشعين فاستمعوا إلى دعاء آخر  
باللاتينية أيضاً . وهناك شواهد كثيرة على احتفاظ الأمم في  
بعض أمورها بكلمات من لغات غير لغاتها احتفاظاً بذكرى  
تاريخية أو إبقاء على سنة دينية . وأذكر هنا أن في أكسفورد  
تسع عشرة كلية مع كل واحدة منها كنيسة ، والطلبة ملزمون  
بالتناوب على الصلاة في أوقات معينة ، فهل منع هذا الامبراطورية  
البريطانية من أن تسود العالم ؟ أو كان هذا بعض الأسباب التي مكنت  
لها في الأرض ؟

ولا ننسى هنا أن الجامعة المصرية حينما شيد بناؤها على طراز  
أوربي لا مصري ولا عربي لم يُتم بناؤها التقليدي بناء مسجد ،  
يمسر للطلاب المصلّي تأدية الصلاة ، فكأنه أكره على ترك الصلاة  
أكرهاً . وقد تكلمت في هذا فليل لي إن في تخطيط الجامعة  
مسجداً . ولست أدري متى يشيد هذا المسجد المخطّط ؟ لماذا  
نؤمن ببعض سنن الأوربيين ونكفر ببعض ؟ ولماذا يا قوم تقدّم  
في المراقص ولا تقدّم في بناء المآبذ في الجامعات ؟ وقد كان لنا  
مصليات في مدارسنا ، وكان لها أئمة يصلون بالطلبة ، ولكننا شعرنا  
بتوغلنا في المدنية وتقدمنا في الصلوات والفنون فحججنا من الإبقاء  
على هذه السنن القديمة فأهملناها فدرست ونسيت !

\*\*\*

ومما فصله السكاليون آخرًا تحويل جامع آيا صوفيا كنيسة  
بحجج ما فيه من آيات قرآنية وأحاديث ، والكشف عما ستره  
المسلمون من صور القديسين والملائكة والصلبان ونحوها من  
نقوش المسيحية ؛ وقد احتج لهم من يدافع عنهم بالحجج وبالباطل  
بأن بناء المسجد وحى ، ولم يبق صالحًا لاقامة الصلوات فجعله  
متحفًا وكشفوا عن هذه الصور الأثرية ، فهل معنى هذا أن

فيتوصلون بالدين إذا وقموا في حنة أخرى . ولست أودّ لهم المحن  
بل أدعو لهم بالعافية والهدى . حدثني من أثق به عن الشيخ  
عبد العزيز جاويش رحمه الله أن الغازي قال له مشيرًا إلى القرآن  
الكريم : « لن تغفلوا مادام هذا الكتاب البالي إمامكم »  
وحدثني آخر من كبار الرجال أن الغازي رمى بالصحف ساخرًا ؛  
وكان يأمر فترجم له بعض آياته ليتخذها هزواً . ألم يكن للنهضة  
التركية بد من هذا ؟ لقد سبقنا الأوربيون في كل سبيل وما سمعنا  
عن ملك من ملوكهم أو زعيم من زعمائهم أنه فعل هذا بالتوراة  
والإنجيل . ولو فعله بعضهم لكان فعله شتمًا لا يقتدى بها  
المقلد . وقد قرأت في إحدى الجرائد الانكليزية منذ سنين أن  
ملك الانكليز يواظب على قراءة فصول من التوراة منذ أربعين  
سنة لأن أمه أوصته بهذا

وقد كتب السكاليون في دستورهم أول الأمر أن دين الدولة  
الاسلام ، ثم عادوا فحججوا ذلك منادين بأن الدولة لا دين لها . ثم  
عمدوا إلى القوانين المدنية ، وهي مستنبطة من الشريعة الاسلامية  
فنبذوها واستبدلوا بها قانون سويسرا . وليسوا أول من يلام على  
ذلك ، فقد سبقهم المصريون فسنوا للمسلمين هذه السنة السيئة ،  
ولكن السكاليين كانوا بدعًا من الأمم في اختيار قانونهم الجديد .  
فما كان هذا القانون وليد طاعتهم ، ولا نتيجة حاجتهم ، ولا منتهى  
مارآه أولو الأمر منهم ، بل أتوا بالقانون السويسري مجموعًا مطبوعًا  
مجلدًا ، وعرض على المجلس هذا المجلد مطبوعًا ، وأخذت الآراء فأجمع  
عليه الأعضاء ، فانقل قانون سويسرا إلى الأناطول في ساعة ، وصار  
الأناطول سويسرا ، وصار أهله سويسريين ، وأنجاهم الله من  
القوانين الاسلامية البالية ، إذ أنزل عليهم قانونًا جديدًا مطبوعًا  
مجلدًا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء !

\*\*\*

ومما ابتدعه السكاليون التأذين باللغة التركية . وقد ترجوا  
القرآن من قبل إلى لغتهم فمذروناهم وقتلنا لا بد للمسلم أن يفهم قرآنه ،  
والتركي لا يستطيع أن يفهم القرآن بالمريية فلا مناص من ترجمته  
إلى لغته ؛ والأمر في الأذان غير هذا ، فهو تسع كلمات . مدودات  
صارت شمارًا للمسلمين في أقطار الأرض كلها يفهمونها على  
اختلاف لغاتهم ؛ ليس في الأرض مسلم لا يعرف معنى الله أكبر  
ومحمد رسول الله ، والصلاة والفلاح ، وإن يكن في الأرض مسلم

## الديمقراطية والانتخاب

في التريية

للأستاذ فخري أبو السعود

مبدأ التعليم العام حديث العهد وليد الديمقراطية في نظم الحكم الحديثة ، إذ اقتضت الديمقراطية المساواة بين جميع أفراد الأمة في الفرصة التي تتاح لهم لتقويم طباعهم واستثمار مواهبهم ؛ ففي نصف القرن الأخير جُمعت مراحل التعليم الأولى في دول الغرب الراقية عامة إجبارية مجانية ، لينال كل فرد حظاً من التعليم ، وعاونت الحكومات ذوى المواهب من أبناء الطبقة الفقيرة على المضي إلى غايات التعليم دون أن يكون قهرهم طائفاً لهم عن ذلك ، وبهذا انتشر النور وأطلقت المواهب التي كانت من قبل معقولة

على أن التعليم العام لم يَحُلْ انتشاره من مساوى : من ذاك أن معظم أبناء الطبقة السفلى يبادرون المدرسة توا عقب إنهاء مرحلة الدراسة الأولى ويمودون إلى ضراوة مهن آبائهم وينسون ما تعلموه في المدارس إلا النزر اليسير الذي لا يساعدهم إلا على قراءة غث الكتب وفارغ القصص ؛ ومن ثم انتشر الأدب الرخيص وطنى على الأدب العالى ، وتدلّت الصحف ، وكثرت الكتب المرتقون الذين لا يتوخون سوى إرضاء تلك العقلية المنحطة ، وقد آذى هذا الأدب المنحط الثقافة الرفيعة : إذ اجتذب غير قليلين من المتعلمين تملأ راقياً ، لأن من طبيعة الانسان أن يؤثر الهين من الأبحاث على الصمب منها ، إلا أن يكون له وازع من نفسه شديد يقره على التسامى عن الفضول ؛ وما من وسيلة من وسائل التثقيف الحديثة كالراديو والسينما والمحاضرات إلا أسيء استعمالها كما أسيء استعمال الكتابة لإرضاء لفضول أشباه المتعلمين ، وكانت النتيجة أن التعليم العام حين رفع مستوى الطبقة السفلى درجة هبط بعقلية الطبقة العليا مثاهما

على أننا إذا فرضنا أن التعليم العام كان خيراً كله في بلاد الغرب التي سبقتنا اليه فهل هو كذلك في مصر ؟ لقد أخذنا

الكاليين أشفقوا على المسلمين أن يخرّ عليهم المسجد فأرادوا أن يقدوم برواد المتاحف لا ينالون أن يسقط عليهم التحف أولاً يسقط ؟ هل بلغ الولوج بالآثار القديمة عندهم أن يمحو الآيات القرآنية ليكشفوا عن الرهبان والصلبان ؟ على أن هذه الآيات قد كتبت بخط جميل يحملها من الفنون الجميلة ، ومضت عليها عصور تجملها من الآثار القديمة

لست أرى فيما صنمه الكاليون بآيا صوفيا إلا إنقاذاً للمناهج الذي وضعوه . فهذا جامع كان كنيسة معظمة عند النصارى ، وقد فتح المسلمون القسطنطينية فجعلوا من آيات الفتح والظفر تحويل الكنيسة إلى جامع فطمسوا نقوش النصرانية فيها ، وبنوا لها منارتين ، ونصبوا أمامها لوحاً كتبوا فيه حديثاً مروياً عندهم : « لتفتحن القسطنطينية ! ولنم الجيش جيشها ، ونم الأمير أميرها » ولا يزال التركي كلما مر بهذا الجامع ذكر الفتح والفتح ، وغلبة الاسلام في هذه المدينة ونحو هذا مما لا يلائم « النهضة التركية الأخيرة » ولا يسائر المدنية الحديثة ، ثم لا يزال هذا الجامع حصرة في نفوس النصارى ، ما نسوه قط ، وقد أعربوا عن أملمهم في تحويله إلى كنيسة يوم احتل الحلفاء الآستانة في الحرب الكبرى فتجمع الروم حول آيا صوفيا ليستولوا عليه فيعود سيرته الأولى . فكان لزاماً أن يمحو الكاليون هذه الآية من نفوس الترك وغيرهم من المسلمين ، لينسوا الماضي وينظروا إلى الحاضر . ولينقبروا إلى أوروبا النصرانية التي التزموا محاسنها في كل شيء . وما بالكم أيها المسلمون تكرر هذا التصامح في الدين وأنتم تزعمون أن دينكم دين التسامح ؟ ستقولون إن أوروبا النصرانية لا تتسامح معنا فنجزئها تسامحاً بتسامح ، ولا يزال كثير من مساجدنا في الأندلس والبلقان كنائس في أيدي النصرانية . وقانكم أيها المسلمون أننا أولى بالتسامح منهم فلماذا لا نبذوهم به !!!

وقد بلغني أخيراً أن الحكومة التركية هدمت المسجد الجميل مسجد المدرسة البحرية في هيبه لى أطله ، هذا المسجد الذي كان يشرف على بحر مرمره بوحى إلى السلم أن دينه ينبغي أن يمز في البر والبحر ، فإن صدق هذا الخبر ، ولست على يقين منه ، فهو حلقة من هذه السلسلة

عبد الرهاب عزازم

( له بيعة )